

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَةُ تَوْجِيهِيَّةٌ عَبْرَ الْهَاتِفِ: مُوجَّهَةٌ لِلْإِخْوَةِ وَالْأَبْنَاءِ

فِي مَدِينَةِ: نُوَاكْشُوطْ؛ عَاصِمَةِ جُمْهُورِيَّةِ مُورِيْتَانِيَا حَفِظَهَا اللَّهُ وَرَعَاهَا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ

لِصَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الْمُدْرَسِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَدْخَلِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ^(١)

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها الدِّجَاةَ يَوْمَ الدِّينِ، يَوْمَ يُبْعَثُ مَا فِي الْقُبُورِ، وَيُحْصَلُ مَا فِي الصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْمُصْطَفَى، الَّذِي أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ لَيْسَ رُفِيَّيْهِ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، لَيْلَةِ الْأَحَدِ^(٢) أَنْ تَلْتَقِيَ نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ هَذِهِ الدَّقَائِقُ، أَنْتُمْ الْأَحِبَّةُ الْكَرَامُ فِي بِلَادِ شَنْقِيْطِ، وَفِي مَدِينَةِ نُوَاكْشُوطْ بِالدَّاتِ، مِنْهَا تَلْتَقِي، نَتَذَكَّرُ نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَّا قَدْ أَمَرَ خَيْرَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِذَلِكَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَّا: {وَذَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} ^(٣).

قال جَلَّ وَعَلَّا: {فَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} ^(٤).

فَالْتَذَكُّيرُ يَنْفَعُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ، وَيُحْيِي الْقُلُوبَ بِهِ؛ قَالَ جَلَّ وَعَلَّا: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} ^(٥)، فَتَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَّا أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا مِنْ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ الْمُنتَفِعَةِ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ.

^١ أَلْفَاها بعد المغرب، من المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، في المملكة العربية السعودية حفظها الله ورعاها وشرفها وأعزها، يوم السبت، الموافق الثالث والعشرين، من شهر رجب، لعام أربعين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

^٢ هنا في الأصل: (كما ذكر أخوكم في تاريخها).

^٣ سورة الذاريات؛ آية ٥٥.

^٤ سورة الغاشية؛ آية ٢١.

^٥ سورة ق؛ آية ٣٧.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ، إِنَّنَا فِي هَذَا الزَّمَنِ فِي كُلِّ زَمَانٍ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى —
 الْعِبَادَةَ الصَّحِيحَةَ، الَّتِي يَرْضَى بِهَا اللَّهُ — جَلَّ وَعَلَا — عَنَّا، وَتُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي خَلَقْنَا لِأَجْلِهِ، وَذَلِكَ
 فِي قَوْلِهِ — جَلَّ وَعَلَا — : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا
 (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)}^(٦).

فَخَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ — جَلَّ وَعَلَا — جَمِيعًا لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى —، وَلَمْ يَتْرَكْهُمْ سُدىً، وَلَمْ
 يَدْعُهُمْ هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا، وَأَنْزَلَ عَلَى رُسُلِهِ — عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ — كُتُبًا، فَمَنْ أَطَاعَ الرُّسُلَ وَاتَّبَعَ
 مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْكُتُبِ وَالْهُدَى وَالنُّورِ؛ أَفْلَحَ وَنَجَحَ، وَمَنْ لَا؛ خَابَ وَخَسِرَ {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
 عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبَيًّا (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ
 كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨)}^(٧).

وهذه العبادة التي أَمَرَنَا اللَّهُ — جَلَّ وَعَلَا — بِهَا — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — هِيَ الَّتِي خَلَقَ الْخَلْقَ^(٨) لِأَجْلِهَا،
 وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ لِأَجْلِهَا (لِبَيَانِهَا)، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَقَسَمَ النَّاسَ فِيهَا إِلَى مُسْلِمِينَ وَكَفَّارٍ فِي هَذِهِ
 الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ قَسَمَهَا إِلَى جَنَّةٍ وَإِلَى نَارٍ، فَالْجَنَّةُ لِلْمُفْلِحِينَ وَلِلْحَزْبِ الْمُتَّقِينَ، وَالنَّارُ لِأَعْدَائِهِ
 الْمُجْرِمِينَ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

وَالنَّارُ حَقٌّ وَجَنَّتُ النَّعِيمِ، وَلَا ... نَقُولُ: تَفَنَّى، وَلَا: ذَا الْآنَ تُفْتَقَدُ

هَذِهِ لِأَعْدَائِهِ قَدْ أُوصِدَتْ أَبَدًا ... وَذِي لِأَحْبَابِهِ، وَالْكُلُّ قَدْ خَلَدُوا

فَالنَّارُ لَهَا مِلْؤُهَا، وَالْجَنَّةُ لَهَا مِلْؤُهَا.

وَالْعِبَادَةُ — مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ — لَا تَكُونُ صَحِيحَةً إِلَّا إِذَا اجْتَمَعَ فِيهَا شَرْطَانِ^(٩): الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ — جَلَّ
 وَعَلَا —، {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)}^(١٠).

^٦ — سورة الذاريات؛ آية ٥٦، ٥٧، ٥٨.

^٧ — سورة المزمل؛ آية ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.

^٨ — هنا في الأصل: (كما سَمِعْنَا).

^٩ — هنا في الأصل: (كما تَعْلَمُونَ).

^{١٠} — سورة الكهف؛ آخر آية.

فـ(الإِخْلَاصُ لِلَّهِ): الذي هو ضدُّ الشُّرْكِ.

والثَّانِي: الْمُتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ فَإِنَّ الْمُتَابَعَةَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هي المُشَارُ إليها في قَوْلِهِ: {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} ^(١١).

فـ(الْعَمَلُ الصَّالِحُ): هو ما كان على ما جاء به - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -؛ لَأَنَّهُ يَقُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".
"كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".
"مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ".

ويقول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ".
مَعَشَرَ الْأَحْبَةِ؛ الْاعْتِنَاءُ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَالْمُتَابَعَةُ لِرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، هَذَا هُوَ أَسُّ قَبُولِ الْأَعْمَالِ.

شَرَطُ قَبُولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا ... فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِخْلَاصٌ مَعَا
(الإِخْلَاصُ): لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} ^(١٢)؛ هَذَا هُوَ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - الَّذِي يَنْفَعُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِهِ الْعِبَادَ.

{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} ^(١٣)؛ كَمَا قَالَ - جَلَّ وَعَلَا - .
فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَهْتَمَّ بِهَذَا الْأَصْلِ؛ أَصْلُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَالْبُعْدُ عَنِ الشُّرْكِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ كَبِيرِهِ وَصَغِيرِهِ، قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَقِيَ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَعَ عَمَلٍ صَالِحٍ - وَلَوْ قَصَرَ -؛ فَإِنَّهُ يُرْجَى لَهُ الْخَيْرُ.

^{١١} - سورة الكهف؛ آخر آية.

^{١٢} - سورة البينة؛ آية ٥.

^{١٣} - سورة غافر؛ آية ١٤.

أَمَّا إِذَا لَقِيَهِ بِأَعْمَالٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ وَالتَّوْحِيدِ عِنْدَهُ مَخْدُوشٌ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ شَيْءٌ،
 هَذَا الْعَمَلُ كُلُّهُ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ شَيْءٌ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
 أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
 قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)}^(١٤).
 (فالشُّرْكُ): مُؤَبَّقٌ لِلْعَبْدِ، وَمُبْطِلٌ لِأَعْمَالِهِ، نَسَأُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، {الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ
 كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ}^(١٥)، عَافَانَا
 اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

فَالْعَبْدُ إِذَا قَدِمَ عَلَى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتَوْحِيدٍ صَحِيحٍ، وَلَوْ عِنْدَهُ قُصُورٌ، وَلَوْ عِنْدَهُ ذُنُوبٌ، مَا دَامَ
 عَلَى التَّوْحِيدِ؛ فَإِنَّهُ يُرْجَى لَهُ كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَدِلَّةُ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
 وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}^(١٦).
 {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
 بَعِيدًا}^(١٧).

فَكُلُّ الذُّنُوبِ دُونَ الشُّرْكِ فَهُوَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَغُفْرَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرْجَى
 أَنْ يَتَنَاوَلَ صَاحِبَ التَّوْحِيدِ، فَيَغْفِرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَهُ.

كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا ... مَا شِيعَ الْمَرْءَ إِخْلَاصُ وَإِيمَانُ
 فَيَجِبُ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ نَعْتَنِيَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ جَمِيعًا،
 صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، فَتَنْغْرِسَهُ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، فَهَذِهِ دَعْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ {وَمَا
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}^(١٨)، هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ.

^{١٤} _ سورة الزمر؛ آية ٦٥، ٦٦، ٦٧.

^{١٥} _ سورة إبراهيم؛ آية ١٨.

^{١٦} _ سورة النساء؛ آية ٤٨.

^{١٧} _ سورة النساء؛ آية ١١٦.

^{١٨} _ سورة الأنبياء؛ آية ٢٥.

هذه دعوة الرُّسُلِ _ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ _ { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا }^(١٩).

فهذه دعوة الأنبياء _ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ _ والرُّسُلِ جَمِيعًا ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَمِدَ هَذَا ، وَنَعْتَدَّ بِهِ ، وَأَنْ نَجْعَلَهُ أَهَمَّ مَا عِنْدَنَا ، فَندْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَنُوضِّحَهُ لَهُمْ .

النَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ _ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ _ ، النَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلَى تَعْلِيمِ التَّوْحِيدِ ، النَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلَى بَيَانِ التَّوْحِيدِ لَهُمْ ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الشَّرْكِ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ ، الشَّرْكِ الْأَكْبَرِ الْمُنَافِي لِأَصْلِ التَّوْحِيدِ ، وَالشَّرْكِ الْأَصْغَرِ الْمُنَافِي لِكَمَالِهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَنْعَمُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ بِتَحْقِيقِهِ لِهَذَا الْأَصْلِ .

أما إذا لم يُحَقِّقْ هَذَا الْأَصْلَ ؛ فَلَا قِيَمَةَ لَهُ ، وَلَا قِيَمَةَ لِعَمَلِهِ ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لَا تُقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا كَانَ الْعَبْدُ مُفْرَطًا فِي هَذَا الْجَانِبِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُحَادُّهُ اللَّهُ _ جَلَّ وَعَلَا _ الْآنَ بِهِ وَيُخَالَفُ بِهِ رَسُولُهُ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ فِيمَا جَاءَ بِهِ ؛ مَسْأَلَةُ الشَّرْكِ ؛ الطَّوَافِ بِالْقُبُورِ ، وَالنَّذْرِ لِلْمَقْبُورِينَ وَأَصْحَابِ هَذِهِ الْقُبُورِ ، وَالتَّبَرُّكِ بِهَا ، وَدُعَاءُ أَصْحَابِهَا ، وَطَلَبِ الْعَوْتِ وَالْمَدَدِ مِنْهَا ، وَدُعَائِهَا لِتَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ ، وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ ، وَإِغَاثَةِ اللَّهْفَاتِ ، هَذَا الشَّرْكَ الَّذِي جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ جَاءَ _ بِمَحَارَبَتِهِ .

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَحْرِصَ فِي هَذَا الْبَابِ _ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ _ ، وَأَنْ نَعْتَنِيَ غَايَةَ الْإِعْتِنَاءِ بِهَذَا الْبَابِ ، وَأَنْ نَهْتَمَّ بِهِ غَايَةَ الْإِهْتِمَامِ ، وَأَلَّا نُقَدِّمَ عَلَيْهِ شَيْئًا ، نَدْعُو إِلَى هَذَا الْبَابِ ، وَأَنْ نُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ ، وَنَحْتَقِلَ بِهِ ، وَنَجْتَهِدَ فِيهِ .

فَالنَّاسُ فِي هَذَا الزَّمَنِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُبَيِّنَ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُعَلَّمَ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُعَضِّدَ وَيُنَاصِرَ ، قَدْ يَكُونُ عَالِمًا بِهَذَا لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْهَرَ بِهِ ، أَوْ يُسْتَضْعَفُ فِي بَلَدِهِ أَوْ بَيْنَ قَوْمِهِ .

فَاللَّهُ اللَّهُ _ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ _ بَيَّانِ هَذَا لِلنَّاسِ .

^{١٩} _ سورة الأنبياء ؛ آية ٢٥ .

وَلْيَكُنْ بِعِلْمٍ وَحِلْمٍ، لِيَكُنْ بَطْرَحٍ لِلدَّلَّةِ، وَيَكُنْ مَعَ عَقْلِ، وَرَحْمَةٍ، وَشَفَقَةٍ، وَحِرْصٍ عَلَى النَّاسِ،
وَإِظْهَارِ الرَّحْمَةِ لَهُمْ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِمُ الْخَيْرُ.

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ _جَلَّ وَعَلَا_ يَسْتَفِيدُ وَيَرَى الشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالصَّدْقَ وَالنُّصْحَ فِيكُمْ؛ يُقْبَلُ وَيُقْبَلِ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا بِهِ، وَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِ غَيْرَ ذَلِكَ؛ هَذَا لَمْ يَنْفَعْ مَعَهُ الرُّسُلُ _صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ_؛ إِذْ قَدْ قَامُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَلَكِنْ مَنْ لَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ لَهُ الْهُدَايَةَ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَهْتَدِيَ.

الشَّاهِدُ: أَنَّ هَذَا الْبَابَ بَابٌ عَظِيمٌ، فَلْيَحْذَرْ النَّاسُ، وَيَحْذَرْ النَّاسُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَحْكَامَهُ
عَلَى وَفْقٍ مَا هُوَ مَقْرُرٌ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ الصَّحِيحَةِ الْمَعْتَمَدَةِ الْمَعْتَبَرَةِ لِكَلَامِ اللَّهِ _جَلَّ وَعَلَا_: كَتَفْسِيرِ الْإِمَامِ ابْنِ
جَرِيرٍ، وَتَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَتَفْسِيرِ ابْنِ الْمُنْذِرِ (يُنْقَلُ عَنْهُ)، وَتَفْسِيرِ ابْنِ مَرْدُوَيْهِ (يُنْقَلُ عَنْهُ)، وَهَكَذَا تَفْسِيرِ
الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَغَيْرِهَا مِنَ التَّفَاسِيرِ النَّافِعَةِ، هَذِهِ يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا، هِيَ الَّتِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا وَعَلَى أَمْثَالِهَا فِي
تَفْسِيرِ كَلَامِ اللَّهِ _جَلَّ وَعَلَا_.

وهكذا مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ.
وَالْأَمْرُ وَاسِعٌ جِدًّا، لَا يُمْكِنُ أَنْ نُحِيطَ بِهِ، لَكِنْ أَظْهَرُ مَا يَقَعُ الْآنَ مِنَ النَّاسِ؛ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُبُورِ،
فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْغُلُوفِ فِي الصَّالِحِينَ، هَذِهِ مَصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ ابْتُلِيَ بِهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخِّرَةِ، بَلْ وَمُنْذُ
الْقَدَمِ، نَسَّالُ اللَّهِ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ لَهُمْ، وَأَنْ نَرْحَمَهُمْ، وَأَنْ نُوضِّحَ لَهُمْ هَذَا الْبَابَ حَتَّى يَنْجُوا بِإِذْنِ اللَّهِ _تَبَارَكَ
وَتَعَالَى_، فَالْفِتْنَةُ بِالْقُبُورِ وَبِالْمَقْبُورِينَ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ.

وَالشَّرُّكَ جَعَلْكَ نِدًّا لِلَّهِ وَلَمْ ... يُشَارِكِ اللَّهَ فِي تَخْلِيلِقِنَا أَحَدُ
تَدْعُوهُ، تَرْجُوهُ، تَخْشَاهُ، وَتَقْصِدُهُ؛ ... لِدَفْعِ شَرٍّ، وَمِنْهُ الْخَيْرُ تَرْتَفِدُ
وَعِلْمُهُ بِكَ، مَعَ سَمْعِ الدُّعَاءِ وَقُدْرَةِ ... وَسُلْطَانِ غَيْبٍ فِيهِ تَعْتَقِدُ
مِثْلُ الْأُولَى بِدُعَا الْأَمْوَاتِ قَدْ هَتَفُوا؛ ... يَرْجُونَ نَجْدَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا لَحِدُوا!

إِلَى أَنْ قَالَ:

وَكَمْ قَبَابًا عَلَيْهَا زُخِرَتْ وَلَهَا ... أَغْلَى النَّسِيجِ كِسَاءٌ لَيْسَ يُفْتَقَدُ؟!
 فَهُمْ يَلُودُونَ فِي دَفْعِ الشُّرُورِ بِهَا ... كَمَا لَهَا فِي قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا
 إِنَّ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ يَا عُلَمَا ... شُرْكَاءُ!! فَمَا الشُّرْكُ؟! قُولُوا لِي أَوْ ابْتَعدُوا
 هذا الذي بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ بِمُحَارَبَتِهِ.

فَيَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ أَنْ نَعْتَنِي بِهَذَا الشَّانِ؛ فَإِنَّ نَبِيَّنَا _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ ثَلَاثَ
 عَشْرَةَ سَنَةً بِمَكَّةَ لَمْ يَدْعُ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا إِلَى قَوْلُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمْ يُفَرِّضْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ إِلَّا الصَّلَاةَ، قُبِيلَ
 الْهَجْرَةِ، بِقَرِيبٍ مِنْ سَنَتَيْنِ، وَبَقِيَّةُ الشَّرَائِعِ إِنَّمَا فُرِضَتْ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ لَمَّا اسْتَقَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ _صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_.

وثنائياً: _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ بَعْدَ أَنْ تُحَقِّقُوا التَّوْحِيدَ، أَدْعُوكُمْ جَمِيعًا وَنَفْسِي قَبْلَكُمْ إِلَى الْاعْتِنَاءِ بِالْفَقْهِ فِي
 دِينِ اللَّهِ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_؛ فَإِنَّ الْفَقْهَ هُوَ الَّذِي يُصَحِّحُ اللَّهُ بِهِ لِلْعَبْدِ عِبَادَتَهُ، وَمَعَامَلَتَهُ، وَأَخْلَاقَهُ، وَسُلُوكَهُ،
 وَجَمِيعَ أَحْوَالِهِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".
 والفقه: هو معرفة الأحكام الشرعية مِنْ أَدْلَتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَحْقِيقِ
 أَسْبَابِهِ مِنْ تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَعَلُّمِ أَصُولِ الْفَقْهِ^(٢٠)، فَعَلَيْكُمْ بِالْاجْتِهَادِ فِي هَذَا.

وكذلك معرفة علم المصطلح الذي يُعَرَّفُ بِهِ الصَّحِيحُ مِنَ الضَّعِيفِ:

فَسُنَّةُ النَّبِيِّ وَحْيٌ ثَانٍ ... عَلَيْهِمَا قَدْ أُطْلِقَ الْوَحْيَانِ
 فَإِنَّمَا سَبِيلُهَا الرَّوَايَةُ ... فَافْتَقَرَ الرَّاويَ إِلَى الدَّرَايَةِ
 بِصِحَّةِ الْمَرْوِيِّ عَنِ الرَّسُولِ؛ ... لِيَعْلَمَ الْمَرْدُودَ مِنْ مَقْبُولِ
 لَا سِيَّمَا عِنْدَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ ... وَلَبَسَ إِفْكُ الْمُحَدِّثِينَ بِالسُّنَنِ
 فَقَامَ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَثْمَةُ ... بِنُصْرَةِ الدِّينِ وَنُصْحِ الْأُمَّةِ
 [فَخَلَّصُوا]^(٢١) صَحِيحَهَا مِنْ مُفْتَرَى؛ ... حَتَّى صَفَتْ نَقِيَّةً كَمَا تَرَى

^{٢٠} _ هنا في الأصل: (وما شاء الله؛ عندكم هذان البابان مطروقان كثيرا).

^{٢١} _ في الأصل: (فَمَيَّرُوا).

ثُمَّ إِلَيْهَا قَرَّبُوا الْوُصُولَا ... لِغَيْرِهِمْ؛ فَأَصَلُّوا أَصُولًا
وَلَقَّبُوا ذَاكَ بِعِلْمِ الْمُصْطَلَحِ ... (٢٢)

وأما أُصُولُ الْفِقْهِ؛ فهي:

أَدِلَّةُ الْفِقْهِ عَلَى الْإِجْمَالِ ... وَطُرُقُ الْوُصُولِ لِلِاسْتِدْلَالِ
تُعْرَفُ ذِي: (فَنُ أُصُولِ الْفِقْهِ)، مَنْ ... أَدْرَكَهَا فَهُوَ الْأُصُولِيُّ فَأَعْلَمَنْ

وَبَعْدَ: إِنَّ أَشْرَفَ الْعُلُومِ ... بَعْدَ كِتَابِ الصِّمْدِ الْقَيُومِيِّ

عِلْمُ الْحَدِيثِ إِذْ هُوَ الْبَيَانُ ... لِمَا بِهِ قَدْ أَطْلَقَ الْقُرْآنُ

فهكذا ينبغي للإنسان أَنْ يَعْتَمِدَ، وفي هذا ينبغي للإنسان أَنْ يَجْتَهِدَ؛ لِيَصِلَ إِلَى الْفِقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ.

وَبَعْدَ: إِنَّ الْعِلْمَ خَيْرٌ مُقْتَنَى ... وَالْفِقْهُ أَوْلَى مَا بِهِ الْعَبْدُ اعْتَنَى

حَظٌّ عَلَيْهِ اللَّهُ وَالرَّسُولُ ... فِي جَمَلٍ شُرُوحُهَا تَطُولُ

مَنْ لَمْ يَكُنْ يَفْقَهُ؛ كَيْفَ يَعْمَلُ ... بِمُوجِبِ الشَّرْعِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ؟!

فاحْتَفِلُوا بِالْفِقْهِ، واعتنوا به؛ فَإِنَّهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".

واعلموا أَنَّ الْفِقْهَ الْقَوِيَّ الصَّحِيحَ هُوَ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى الْأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ (فَأَمَّا كَلَامُ اللَّهِ فَقَدْ نُقِلَ إِلَيْنَا

بِالتَّوَاتُرِ، ولكن نريدُ بهذا سُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ إِذِ الْفِقْهُ بِدُونِ دَلِيلٍ كَالْأَعْرَجِ، وَالَّذِي يَحْمِلُ

الْحَدِيثَ وَلَا يَعْرِفُ الْفِقْهَ فَهُوَ كَالْأَعْمَى، كما قال ذلك الإمام الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَضَرَ اللَّهُ امْرَأًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَلَبَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ

سَامِعٍ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ".

فاحْتَفِلُوا بِالْفِقْهِ، واجتهدوا فيه:

وَاحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ، فِي الدِّينِ، وَلَا ... تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلٍ

^{٢٢} _ تكملة البيت: (حَيْثُ عَلَيْهَا الْكُلُّ مِنْهُمْ أَصْطَلَحَ). ينظر: اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون للشيخ حافظ بن أحمد الحكيمي رحمه الله

تعالى؛ البيت ١٢.

فالواجب علينا وعليكم جميعاً _بَعْدَ تحقيقِ التَّوْحِيدِ_ أَنْ يقومَ العبدُ بالاعتناءِ بالتَّفَقُّهِ في دينِ الله؛
حتَّى يَعْرِفَ الحلالَ والحرامَ، وَيَعْرِفَ الواجبَ، وَيَعْرِفَ المندوبَ، وَيَعْرِفَ المباحَ، و(المُبَاحُ): وَإِنْ لم يَكُنْ
دَاخِلًا كما يَقُولُهُ العلماءُ المحقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَصُولِ في الْقِسْمَةِ لَكِنَّهُ قد دَخَلَ في التَّقْسِيمِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَإِلَّا هُوَ
مُحَرَّمٌ ومَكْرُوهٌ وواجبٌ ومندوبٌ، وما سَكِيتَ عنه فهو الْعَفْوُ.

فالواجب علينا وعليكم جميعاً أَنْ نَعْتَنِيَ بِالْفَقْهِ؛ فَإِنَّ (مَنْ يَفْقَهُ): في دينِ الله _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_ يَكُونُ
مَا يُصْلِحُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُفْسِدُهُ، و(مَنْ لم يَفْقَهُ): يَكُونُ ما يُفْسِدُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ.

و(الْفَقِيْهُ): هُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَالْفَقِيْهُ الْوَاحِدُ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ
اللَّهَ نَوَّرَ بَصِيرَتَهُ، فَيَعْرِفُ الْحَقَّ وَالْهُدَى بِدَلِيلِهِ:

(الْعِلْمُ): قَالَ اللَّهُ، قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ، هُمْ أَوَّلُو الْعِرْفَانِ
مَا الْعِلْمُ نَصَبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانٍ

فالعلم هذا هو.

الْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ ... مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ يَسْتَوِيَانِ

فالْعِلْمُ هُوَ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ، هَذَا هُوَ الْعِلْمُ، الْحُكْمُ كَذَا... وَقَالَ اللَّهُ كَذَا... وَقَالَ رَسُولُهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا....

وَالْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ عُرِفَتْ لَهُمْ مَذَاهِبُ وَبَقِيَتْ مُنْتَشِرَةً فِي الْكُتُبِ
وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَبْقَ مَذَاهِبُهُمْ قَائِمَةً كَمَا هُوَ مَذَاهِبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ؛ إِنَّمَا رَفَعَهُمُ اللَّهُ وَأَعْلَاهُمْ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَّا
بِسَبَبِ فَقْهِهِمْ فِي الدِّينِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُمْ.

فعليكم جميعاً _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ أَنْ تَحْتَفُوا، وَأَنْ تَعْتَنُوا بِهِذَا، وَأَنْ تَعْتَنُوا بِالْفَقْهِ.

وَلْتَعْلَمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ لِيُتَدَبَّرَ، وَلِيَعْمَلَ بِهِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَقُومُ بِهِ الْفَقْهَاءُ فِي دِينِ اللَّهِ، الْعَارِفُونَ بِكَلَامِهِ
وَكَلَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهكذا سُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ المقصودُ منها العملُ بها، فإذا لم يكنِ العارفُ للأحكام
ويَكُنِ العالمُ بمرَاتِبِهَا وَمَذَارِكِهَا؛ فَكَيْفَ حِينَئِذٍ سَيَعْمَلُ؟!
فَاللَّهُ اللَّهُ _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_.

وأوصيكم _بَعْدَ أَنْ تَتَسَلَّحُوا بِذَلِكَ فِي أَنْفُسِكُمْ_ أَنْ تَقُومُوا بِهِ فِي النَّاسِ، وَأَنْ تُوَصِّلُوا الْخَيْرَ إِلَيْهِمْ، كَمَا
قَالَ _جَلَّ وَعَلَا_: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (٢٣).
ويقولُ _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً".

فالواجِبُ علينا وعليكم جميعاً أَنْ مَنْ عِلْمٌ أَنْ يَنْشُرَ مَا عِلْمٌ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا سِيَّماً عِنْدَ حَاجَةِ النَّاسِ
وَاشْتِدَادِ الْعُرْبَةِ، وَنَحْنُ الْآنَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، نَحْنُ الْآنَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَالْعُرْبَةُ مُشْتَدَّةٌ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَعَلَى
أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَمُشْتَدَّةٌ عَلَى أَهْلِ الْفِقْهِ فِي دِينِهِ وَالْمُتَابِعَةِ لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ_.

فالواجِبُ علينا وعليكم أَنْ نَجْتَهِدَ فِي هَذَا الْبَابِ، فَنَحْنُ فِي زَمَنِ الْعُرْبَةِ، هَذَا الزَّمَنُ زَمَنُ الْعُرْبَةِ،
انْدِرَاسِ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ؛ ذَلِكَ بِسَبَبِ ذَهَابِ الْعُلَمَاءِ وَمَوْتِ الْعُلَمَاءِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ هَذَا الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ
مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ أَوْ مِنْ صُدُورِ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالَمٌ أَوْ: يَبْقَ عَالَمًا؛
اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

وها أَنْتُمْ كَم تَسْمَعُونَ مِنَ الْفَتَاوَى الْمُنْحَرِفَةِ الصَّادَةِ عَنِ الْحَقِّ وَالْجَائِرَةِ عَنِ الطَّرِيقِ؟! نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ
وَالسَّلَامَةَ.

وهؤلاءِ فِي جَهْلِهِمْ لَا يُقَابِلُهُمْ إِلَّا أَهْلُ الْعِلْمِ وَأَهْلُ الْهُدَى؛ فَإِنَّ:

الْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ ... مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ يَسْتَوِيَانِ
وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَدَوَاؤُهُ ... أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفَقَانِ

نَصُّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةٍ ... وَطَيِّبُ ذَلِكَ الْعَالَمِ الرَّبَّانِيِّ

والعالمُ الرَّبَّانِي هو الذي عَنَاهُ اللهُ يَقُولُهُ: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} (٢٤).

و(الرَّبَّانِيُّونَ): هم العلماءُ الحكماءُ والعلماءُ الحُلَمَاءُ، كما جاء ذلك كُلُّهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وجاءَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "هُمُ الَّذِينَ يُرَبُّونَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ".

وفي هذا الإِشَارَةُ إِلَى التَّدْرِجِ فِي التَّعْلِيمِ، فَيَبْتَدَأُ بِالنَّاسِ عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ وَمُسْتَوِيَّاتِهِمْ، فَيَتَدَرَّجُونَ مِنَ الْأَقَلِّ إِلَى الْأَكْثَرِ، وَمِنَ الْأَضْعَفِ إِلَى الْأَقْوَى، وَمِنَ الْأَخْصَرِ إِلَى الْمُتَوَسِّطِ، ثُمَّ إِلَى الْمُطَوَّلِ، وهكذا.

وَفِي عَصْرِنَا كَانَ الْمُؤَفَّقُ حُجَّةً ... عَلَى فَقْهِهِ الثَّبَتِ الْأُصُولِ مُعَوَّلٍ

كَفَى الْخَلْقَ بِ(الْكَافِي)، وَأَقْنَعَ طَالِبًا ... بِ(مُقْنِع) فَقْهِ فِي كِتَابِ مُطَوَّلٍ

إِلَى أَنْ قَالَ:

..... وَ(عُمِدَتُهُ) مَنْ يَعْتَمِدُهَا يُحْصَلُ (٢٥)

فالناسُ يَتَفَاوَتُونَ، فَيَبْتَدَأُ مَعَهُمُ بِالْمُخْتَصَرَاتِ، ثُمَّ الْمُتَوَسِّطَاتِ، ثُمَّ الْمُطَوَّلَاتِ لِلْمُبَاحَثَاتِ، فبهذا إنما يُؤْتَى إِلَيْهِ فِي حَالِ الْإِنْتِهَاءِ، وَأَمَّا الْإِبْتِدَاءُ فَلَا، الْوَقْتُ لَا يَصْلُحُ لَهُ، وَالْعُقُولُ لَا تَصْلُحُ لَهُ، عَقُولُ النَّاشِئَةِ فِي الصِّغَارِ لَيْسَ كَالْكِبَارِ الَّتِي انْتَهَتْ، فَعَلَيْنَا بِالتَّدْرِجِ _مَعَشَرَ الْإِحْوَةِ_، وإعطاء كُلِّ أَنَسٍ مَا يَنَاسِبُ أَحْوَالَهُمْ.

كما أُوصِيَكُمْ _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ بِإِظْهَارِ الرَّحْمَةِ، وَالشَّفَقَةِ، وَالْأُلْفَةِ، والدَّعْوَةُ إِلَى الْمَحَبَّةِ، وَأَنْكُمْ إِنَّمَا أَنْتُمْ دُعَاةُ خَيْرٍ، وَمَا جِئْتُمْ إِلَى النَّاسِ إِلَّا تَدْعُوهُمْ إِلَى الْخَيْرِ، وَمَا جِئْتُمْ إِلَى النَّاسِ إِلَّا تَرِيدُونَ بِهِمُ الْخَيْرَ، وَتُظْهِرُونَ لَهُمْ مِنَ الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ وَالْحَنَانِ عَلَيْهِمْ وَالرَّافَةِ بِهِمْ مَا يُصَدِّقُ أَقْوَالَكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ، مِنْ أَفْعَالِكُمْ مَا يُصَدِّقُ أَقْوَالَكُمْ، وَتُصَدِّقُوا أَقْوَالَكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ، فَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا مِنْكُمْ ذَلِكَ قَرُّوا وَأَقْبَلُوا، وَإِذَا رَأَوْا ضِدَّ ذَلِكَ فَرُّوا وَنَفَرُوا،

^{٢٤} _ سورة آل عمران؛ آية ٧٩.

^{٢٥} _ أول البيت: (وَأَعْنَى بِ"مُعْنَى" الْفَقْهِ مَنْ كَانَ بَاحِثًا). ينظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي رحمه الله (٢٩٥/٣).

فَنَسَأَلُ اللَّهَ _جَلَّ وَعَلَا_ أَنْ يَجْمَعَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ قُلُوبَ عِبَادِهِ، وَأَنْ يَنْفَعَنَا فِي أَنْفُسِنَا وَفِي أَقْوَالِنَا وَأَعْمَالِنَا جَمِيعًا، كَمَا نَسَأَلُهُ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يَنْفَعَ بِنَا إِخْوَانَنَا وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ.

فَإِذَا رَأَى مِنْكُمْ هَؤُلَاءِ النَّاسُ (الَّذِينَ تَعِيشُونَ فِي أَوْسَاطِهِمُ الشَّقَقَةَ وَالرَّحْمَةَ)؛ فَإِنَّهُمْ سَيَقْبَلُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ _جَلَّ وَعَلَا_: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٢٦).

فَامْتَنَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ بِأَنَّهُ رَحِيمٌ، وَأَنَّهُ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ لَطِيفٌ بِهِؤُلَاءِ الْأَتْبَاعِ، بِعِبَادِ اللَّهِ _جَلَّ وَعَلَا_ الَّذِينَ آمَنُوا وَاسْلَمُوا مَعَهُ، كَمَا قَالَ _جَلَّ وَعَلَا_: {بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَحِيمٌ} (٢٧).

وَقَالَ _جَلَّ وَعَلَا_: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} (٢٨).

فَالرَّحْمَةُ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ _عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_، وَلَا تُنَزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_، فَأَظْهَرُوا لِلْخَلْقِ الرَّحْمَةَ وَالشَّقَقَةَ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا مِنْكُمْ ذَلِكَ أَقْبَلُوا عَلَيْكُمْ.

وَالنَّاحِيَةُ (٢٩) الرَّابِعَةُ _حَفِظَكُمْ اللَّهُ_ الَّتِي أَوْصَى نَفْسِي قَبْلَكُمْ وَأَوْصِيَكُمْ أَيْضًا بِهَا؛ وَهِيَ: حُسْنُ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَزِنُونَكُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ، وَاعْلَمُوا _رَحِمَكُمُ اللَّهُ_ أَنَّكُمْ لَنْ تَسْعَوْا النَّاسَ بِأَرْزَاقِكُمْ، وَلَكِنْ بِأَخْلَاقِكُمْ وَبَسْطِ الْوَجْهِ، فَالنَّاسُ يَزِنُونَكُمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ، فَإِذَا جَاءَتِ الْقُدُوءُ الْحَسَنَةُ؛ نَفَعَ اللَّهُ بِهَا، وَإِذَا رَأَوْا مِنْكَ خِلَافَ مَا تَدْعُو (فَرَأَوْا الْأَفْعَالَ تُخَالِفُ الْأَقْوَالَ)؛ فَإِنَّهُمْ حِينَئِذٍ سَيَكْذِبُونَكَ، وَيَنْفِرُونَ مِنْكَ.

فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ أَسْبَقَ النَّاسِ إِلَى مَا نَدْعُو إِلَيْهِ، وَأَصْدَقَ النَّاسِ فِيمَا نَقُولُ وَنَنْشُرُهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ مِنَّا وَصَدَقَتْ أَفْعَالُنَا أَقْوَالُنَا عَلِمَ النَّاسُ صِدْقَنَا، وَأَقْبَلُوا بِإِذْنِ اللَّهِ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_، فَإِنَّ الْقُدُوءَ الْحَسَنَةَ لَهَا أَثَرٌ فِي قُلُوبِ النَّاسِ.

^{٢٦} _سورة آل عمران؛ آية ١٥٩.

^{٢٧} _سورة التوبة؛ آية ١٢٨.

^{٢٨} _سورة الأحزاب؛ آية ٤٣.

^{٢٩} _هنا في الأصل: (الثانية: الله... الله... الرابعة، الثالثة: هذه؛ التي وصيتكم بها، وهي: الرحمة، والشفقة، والحرص على هداية الناس، والتلطف إليهم... و...).

فَاللَّهُ اللَّهُ يَا _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ ، فَإِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ رِسَالَةٌ شَرِيفَةٌ ، فَيَجِبُ أَنْ تَحْمِلَهَا قُلُوبٌ نَظِيفَةٌ ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ الشَّرِيفَةُ فِي قُلُوبٍ صَافِيَةٍ رَحِيمَةٍ شُفُوقَةٍ لَطِيفَةٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ يَنْفَعُهَا هِيَ (أَوَّلًا) ، وَيَنْفَعُ بِهَا (ثَانِيًا) الْعِبَادَ ، وَهَذِهِ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ _جَلَّ وَعَلَى_.

وَبَعْدَ ذَلِكَ : مَنْ أَعْرَضَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ، بَعْدَ التَّلَطُّفِ وَالْبَيَانِ وَالرَّفْقِ وَالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالاجْتِهَادِ فِي بَيَانِ الْحَقِّ لَهُ ؛ هَذَا لَا حِيلَةَ فِيهِ {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (٣٠).

{وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} (٣١).
{أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (٣٢).

هَذَا لَا حِيلَةَ لَنَا فِيهِ {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} (٣٣) كَمَا قَالَ رَبُّنَا _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_.

وَقَالَ _جَلَّ وَعَلَى_ : {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} (٣٤).

{مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ} (٣٥).

فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُبَدِّلَ مَا نَسْتَطِيعُ ، وَالتَّوْفِيقُ بِيَدِ اللَّهِ ، فَإِذَا نَحْنُ بَدَّلْنَا وَاتَّصَفْنَا بِمَا ذَكَرْتُ لَكُمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ _جَلَّ وَعَلَى_ سَيُوفِّقُ ، وَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ الْإِخْلَاصَ كَتَبَ لَهُ الْقَبُولَ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِبَائَكُمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُقْبُولِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالنَّاسُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ يَا _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_.

كَمَا أُوصِيَكُمْ بِوَصِيَّةٍ خَاتِمَةٍ أَخْتِمُ بِهَا هَذَا الْكَلَامَ ، وَهِيَ : عَلَيْكُمْ بِمَعْرِفَةٍ مَنْ تَأْخُذُونَ مِنْهُ ، فَإِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ ، فَلَا تَأْخُذُوا دِينَكُمْ إِلَّا عَنِ الْمُوثُوقِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ

٣٠ _ سورة القصص ؛ آية ٥٦ .

٣١ _ سورة الروم ؛ آية ٥٣ .

٣٢ _ سورة الجاثية ؛ آية ٢٣ .

٣٣ _ سورة الشورى ؛ آية ٤٨ .

٣٤ _ سورة النور ؛ آية ٥٤ . وسورة العنكبوت ؛ آية ١٨ .

٣٥ _ سورة المائدة ؛ آية ٩٩ .

تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ: "لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ سَبْعِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَوْ جُعِلَ أَمِينًا عَلَى بَيْتِ الْمَالِ لَكَانَ أَمِينًا، وَلَكِنْ لَمْ نَأْخُذْ مِنْهُ، حَتَّى جَاءَ مُحَمَّدٌ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ فَاِبْتَدَرْنَاهُ"؛ قَالَ: "لِأَنَّهُ كَانَ يَدْرِي هَذَا الشَّانَ".

فَالْعَاقِلُ لَا يُضَيِّعُ وَقْتَهُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ، الْمُفِيدُ، النَّاصِحُ، الَّذِي يُفِيدُهُ فِي الْعِلْمِ إِذَا سَأَلَهُ، وَيَبْتَدِئُهُ بِالنَّصِيحَةِ إِنْ لَمْ [يَسْأَلْهُ هُوَ]^(٣٦)، فَإِنَّهُ يُحْصِلُ عَلَى يَدَيْهِ فِي الْوَقْتِ الْيَسِيرِ الْعِلْمَ الْكَثِيرَ وَالْجَمَّ الْغَفِيرَ كَمَا قَالَ نَازِمُ الْفَيْيَةِ السَّنْدِ الرَّبِيدِي:

وَمَا حَوَى الْغَايَةَ فِي أَلْفِ سَنَةٍ ... شَخْصٌ فَخَذَ مِنْ كُلِّ فَنٍّ أَحْسَنَهُ

بِحِفْظِ مَتْنٍ جَامِعٍ لِلرَّاجِحِ ... تَأْخُذُهُ عَلَى مُفِيدٍ نَاصِحٍ

فَلَا بَدَّ مِنَ الْحِفْظِ، وَلَا بَدَّ لِلْمَحْفُوظِ أَنْ يَكُونَ الرَّاجِحَ فِي كُلِّ فَنٍّ، وَلَا بَدَّ أَنْ تَأْخُذَهُ عَنِ الَّذِي يُفِيدُكَ وَيَنْصَحُكَ، يُفِيدُكَ إِنْ سَأَلْتَهُ فَاعْتَرَفْتَ مِنْهُ، وَيَنْصَحُكَ إِنْ لَمْ تَسْأَلْهُ، فَإِذَا رَأَى حَاجَتَكَ ابْتَدَأَكَ بِهَا.

وَأَسْأَلَ اللَّهَ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْفَقْهَ فِي الدِّينِ، وَأَنْ يَعِصِمَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا دُعَاةَ أُخُوَّةٍ وَأُلْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ، لَا دُعَاةَ فُرْقَةٍ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، كَمَا أَسْأَلُهُ _جَلَّ وَعَلَى_ أَنْ يُبَيِّنَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى حَتَّى نَلْقَاهُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ

الدِّينِ^(٣٧).

^{٣٦} _ فِي الْأَصْلِ: (هُوَ يَسْأَلُهُ).

^{٣٧} _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِي التَّفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَعَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالنَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.